فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والارض ومن فيهن لجعل له مخرجا ورزقه
وكفاه ونصره انتهى وفي اثر آخر رواه احمد في الزهد عن وهب بن منبه قال الله عز وجل في بعض
كتبه بعزتي انه من اعتصم بي فكادته السموات والارض بمن فيهن فاني اجعل له من ذلك مخرجا ومن
لم يعتصم بي فاني اقطع يديه من اسباب السما واخسف به من تحت قدميه الارض فاجعله في الهوى
ثم اكله الى نفسه كفا بي لعبدي مالا اذا كان عبدي في طاعتي اعطيته قبل ان يسالني واستجيب له
قبل ان يدعوني فانا اعلم بحاجته التي ترفق به وفي الاية دليل على فضل التوكل وانه اعظم
الاسباب في جلب المنافع ودفع المضار لان الله تعالى علق الجملة الاخيرة على الاولى تعليق
الجزاء على الشرط فيمتنع ان يكون وجود الشرط كعدمه لان الله تعالى رتب الحكم على الوصف
المناسب له فعلم ان توكله هو سبب كون الله حسبا له فيها دفع ما ينبغي على القيام بالاسباب مع
التوكل لانه تعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل كما قال تعالى واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فجعل التوكل مع التقوى الذي هو قيام بالاسباب المامور بها فالتوكل بدون القيام بالاسباب
المامور بها عجز محض وان كان مشوبا بنوع من التوكل فلا ينبغي للعبد ان يجعل توكله عجزا
ولا عجزه توكلا بل يجعل توكله من جملة الاسباب التي لا يتم المقصود الا بها كلها ذكره ابن القيم
بمعناه قال (ص) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم صلى الله عليه وسلم
حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخاري ش قوله حسبنا الله اي كافينا فلا نتوكل الا عليه قال
تعالى اليس الله بكاف عبده قوله ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه كما قال تعالى واعتصموا بالله هو مولاكم
فنعم المولى ونعم النصير ومخصوص نعم محذوف تقديره هو قال ابن القيم رحمه الله تعالى هو حسب
من توكل عليه وكافي من لجأ اليه وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير فمن تولاه و
استنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته اليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه ومن خافه واتقاه
امنه مما يخاف ويحذر وجلب اليه ما يحتاج اليه من المنافع قوله قالها ابرهيم صلى الله عليه وسلم
حين القي في النار قال تعالى قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار
كوني بردا وسلاما على ابرهيم الاية قوله وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وذلك بعد منصرف
قريش من الاحزاب من احد بلغه ان ابا سفيان ومن معه قد اجمعوا الكرة عليهم فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا حتى انتهى الى حمراء الاسد فالقى الله الرعب في قلب ابي سفيان

فرجع

فرجع الى مكة بمن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
قال فهل انتم مبلغون محمدا عني رسالة قالوا نعم قال فاذا وافيتموه فاخبروه انا قد
اجمعنا المسير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل
ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة وانها قول الخليلين عليهما السلام في
الشدائد وجاء في الحديث اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قوله (ص)
باب قول الله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ش قصد
المصنف رحمه الله تعالى بهذه الاية التنبيه على ان الامن من مكر الله من اعظم الذنوب وانه ينافي كمال
التوحيد كما ان القنوط من رحمة الله كذلك وذلك يرشد الى ان المؤمن يسير الى الله بين الخوف
والرجا كما دل على ذلك الكتاب والسنة وارشد اليه السلف والائمة ومعنى الاية ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر حال اهل القرى المكذبين للرسل بين ان الذي حملهم على ذلك هو الامن من مكر الله
وعدم الخوف منه كما قال تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اولئك اهل
القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الهالكون وذلك انهم امنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا ان يكون
ذلك مكرا قال الحسن رحمه الله من وسع الله عليه فلم ير انه يمكر به فلا راي له وقال قتادة رحمه الله
بغت القوم امر الله وما اخذ الله قوما قط الا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله وفي
الحديث اذا رايت الله يعطي العبد على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج رواه احمد وابن جرير و
ابن ابي حاتم وقال اسمعيل بن رافع من الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله
المغفرة رواه ابن ابي حاتم وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعم اذا
عصوه ويملي لهم ثم ياخذهم اخذ عزيز مقتدر وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك ذكره
ابن جرير بمعناه قال (ص) وقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ش القنوط استبعاد
الفرج واليأس منه وهو نقيض الامن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم وتقدم ما فيه لمنافاته لكمال
التوحيد وذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الاية مع التي قبلها تنبيها على انه لا يجوز لمن خاف الله ان
يقنط من رحمته كما قال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه
وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله
غفور رحيم فالرجا مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان ليوقع العبد في المخاوف ومع

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)